٨ ـ وما زالت رايات الإسلام خفاقة في أرجاء المعمورة تحت ظل الخلافة العثمانية إلىٰ أواخر القرن التاسع عشر، حيث بدأت الدولة العثمانية بالاضمحلال، وبدأت خصال وشُعب الإيمان تتهاوىٰ ويخبو ضوؤها في قلوب المسلمين. وبدأت كفة المدافعة تميل لمصلحة أعداء الإسلام ويتعاظم تأثيرها ووقعها علىٰ المسلمين؛ حتىٰ سقطت راية الخلافة الإسلامية رسمياً عام ١٩٢٤م، وتنحت خصال الإيمان وشُعبه عن صياغة المجتمع الإسلامي، وبقي منها بصيص في بعض أفراد المسلمين، يخبو أحياناً ويتوهج أحياناً أخرىٰ.

٩ ـ ومنذ ذلك التاريخ وإلىٰ الآن؛ فإن العولمة لا تزال تواصل مد بساطها علىٰ ربوع الأرض؛ بما فيها البلاد الإسلامية، وتقوم بالضغط الشديد علىٰ العالم الإسلامي علىٰ جميع المستويات في العقائد والمقاصد والوسائل.

بعد تلك الملاحظات؛ لا بد أن نتلمس واقع الطرفين المتدافعين، وهما:

ـ المسلمون (المفترض أن يكونوا معبّرين عن عالمية الإسلام).

ـ أعداء الإسلام (وهم الذين يرفعون لواء العولمة).

فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: واقع المسلمين على ضوء شُعب الإيمان وموجات العولمة:

لا شك أن المسلمين اليوم قد خلَّفوا وراءهم عدداً كبيراً من شُعب الإيمان، وما تبقىٰ بين ظهرانيهم منه فإنه باهت خافت لا تكاد ترىٰ آثاره في حياتهم إلا قليلاً. ولأجل أن لا يكون كلامنا جزافاً، ولا يكون تصدينا للحقائق القائمة علىٰ الأرض متخيلاً؛ فإنني سأذكر باختصار أهم الشُّعب التي فُقدت بالكلية أو التي أصابها تدهور شديد، وسأرتب كلامي وفق عناوين رئيسة، وتحت كل عنوان ينضوي عدد من الخصال والشُّعب الإيمانية التي ذكرناها، وأترك للقارئ الكريم الاجتهاد في تتبعها (أي الخصال والشعب) ليعيش المشكلة بنفسه، لعلَّه يكون له

دور إيجابي في حل بعض إشكالاتها وتقزيم مآلاتها، وعليه أن يستحضر أيضاً المستويات الثلاث التي ذكرناها، وهي العقائد والمقاصد والوسائل، باعتبارها مكونات التدافع!!

١ ـ الأحزاب القومية والعلمانية: وهي أحزاب انتشرت في طول العالم الإسلامي وعرضه، انضوت في صفوفها أعداد كبيرة من الجماهير الإسلامية التي ضمت شرائح منوعة من السياسيين والمتعلمين وغيرهم؛ من الجنسين الرجال والنساء، وتمكَّنت هذه الأحزاب من السيطرة على أنظمة الحكم في كثير من البلاد الإسلامية، وتمكَّنت أيضاً من الهيمنة على النقابات والنوادي والجمعيات والروابط الطلابية والمؤسسات الفكرية والثقافية والاجتماعية والإدارية والتربوية، بل الرياضية أيضاً، ونشطت إعلامياً من خلال إصدار الصحف والمجلات، وتأسيس الإذاعات، واستخدام وسائل البث الفضائي والحاسوب والشبكة العالمية (الإنترنت).

إن أهم ما اعتمدته هذه الأحزاب في نشر فكرها ووضع برامجها هو اعتبار الإسلام عدوها الأول، فبعضهم جَاهَرَ بذلك وبعضهم أَسَرَّ به، ولذلك جاءت جميع الوسائل وانصبت كل المقاصد في بحيرة هذه الدائرة الخطيرة، وراحت هذه الأحزاب تدك بمعاولها معاقل شُعب الإيمان في كل أنحاء العالم الإسلامي؛ مركزة على أساسيات تلك الشُّعب، ومن أهمها تبديد المعنى الحقيقي لـ «لا إله إلا الله محمد رسول الله»؛ تارة بالمجابهة السافرة، وتارات بالمواربة والمخاتلة. لقد نجحت هذه الأحزاب في اختراق الهوية الإسلامية لهذه الأمة، ووصلت في اختراقها إلى موقع القلب منها، فالتقت مع العولمة في السبل نفسها، وتوحدت مع أهدافها، فجمع بينهما الطريق.

لقد أضعفت هذه الأحزاب روح الانتماء الإسلامي في الشعوب الإسلامية،

مما بدد قواها الذاتية، وأطاح بمكتسباتها التاريخية، وأهال التراب على أمجادها الحضارية، فأضحت فريسة سهلة لمن يريدون عولمة أفكارها وثقافتها وسلوكياتها.

٢ ـ الحكم بالدساتير الوضعية: مع انطفاء نور الخلافة العثمانية ساد ظلام الدساتير الوضعية الوافدة، حيث تخلَّت الحكومات الإسلامية عن حكم الكتاب والسنّة بالكلية، واستوردت تشريعات وقوانين الدول الغربية، وجعلتها محل التحاكم في كل الشؤون الحياتية على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والثقافية وغيرها، ولا يزال الحال على ما هو عليه منذ حوالي ثمانين عاماً. لقد أعادت هذه الدساتير صياغة الأمة الإسلامية على نحو الصيغة الجاهلية؛ وانظر الآن أخي القارئ في الخصال المائة التي كان عليها الجاهليون؛ فستجد كثيراً منها قد أخذ حظه الأوفى من واقع الأمة الآن كلياً أو جزئياً، ولا يعني هذا الكلام تكفير المجتمعات الإسلامية؛ بل يعني أن هذه القوانين الوضعية قد غيَّرت الصبغة التي قال الله عنها: ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾ [**البقرة**: ١٣٨]. إن أقصى ما يمكن للمسلم اليوم فعله هو احتفاظه بالقيام بالفرائض الفردية المتعلقة بأركان الإسلام، أما ما يتعلق بالمقاصد الكلية والتي هي من وظيفة الحاكم، وذلك في التحاكم في العقائد والدماء والأموال والأعراض، فهذه كلها قد وضعت لها الدساتير المستوردة تشريعات وقوانين مخالفة لشريعة الإسلام. وبناءً على ذلك؛ فإن هذه الدساتير قد أدت وظيفتها في حتّ شُعب الإيمان من قلوب المسلمين، وإضعاف التزامهم بها إلى أقصى حد ممكن، ولا تزال تمارس هذه الوظيفة الخطيرة إلى يومنا هذا.

إن هذه الدساتير الوضعية قد فُرضت على المسلمين بالقوة، حيث جيشت تلك الدول جيوشها وشرطتها ومخابراتها وكل وسائلها لحماية هذه الدساتير، وتأكيد فرضها على الشعوب الإسلامية، وإجبار المسلمين على الاحتكام إليها

تحت طائلة العقوبات المشددة التي تتضمن أقصىٰ الأحكام بما فيها السجن المؤبد، بل الإعدام؛ مع ما يرافق ذلك من ألوان التعذيب الوحشي، وأنواع الإهانات التي تهوي بالإنسان إلىٰ أدنىٰ من قيمة الحيوان بمراحل عديدة!! وإذا كانت الأحزاب العلمانية قد اخترقت هوية الأمة، فهذه الدساتير قد غيرت تلك الهوية وطمستها، فصَبَّ ذلك كله في مصلحة الذين يعولمون دساتيرهم وأنواع طرق معايشهم.

٣ ـ أنظمة الحكم السياسية: لقد سادت أنظمة الحكم الديكتاتوري الأمة الإسلامية؛ تارة مسفرة عن «الحاكم الفرد»، وتارة متوارية خلف «الحزب الحاكم»، وأخرىٰ وراء «المجلس النيابي». جميع هذه الأنظمة ـ تقريباً ـ اعتبرت الإسلام عدواً لها، فمنهم من جاهر بذلك، ومنهم من أسر. لقد سامت هذه الأنظمة السياسية الشعوب الإسلامية سوء العذاب، وشجَّعت جميع الفعاليات التي تبتعد بالأمة عن دينها، وفرضت عليها أنواعاً من أساليب الحياة، فتارة شيوعية، وأخرىٰ اشتراكية، وثالثة رأسمالية، وكلما استولت فئة علىٰ نظام الحكم لعنت من قبلها وفرضت علىٰ الشعب المسلم الاصطباغ بصبغتها!

غير أن آخر ما أصبح مطروحاً علىٰ بساط الحراج السياسي هو «النظام الديمقراطي» الذي أخذت الولايات المتحدة (اليهود والنصارىٰ) علىٰ عاتقها فرضه بالقوة علىٰ العالم الإسلامي، وهو نظام علماني بحت يخترق الإسلام في صميم أصوله، حيث يجعل الشعب مصدر التشريعات (أي ليس الكتاب والسنَّة)، إن هذا النظام السياسي هو من أخطر الأنظمة التي تمكن للعولمة في بلاد المسلمين، ولذلك فهو يحظىٰ بدعم شديد وقوي وضاغط من قِبَل أعداء الإسلام. وفي ظل النظام الديمقراطي؛ فإن جميع شُعب الإيمان وجميع خصال الكفر تصبح في إناء واحد، يختلط بعضها ببعض مثل «السَّلَطَة»، وتطرح علىٰ المزاد العلني المسمَّىٰ «التصويت»، ولكن ما هو أخطر من ذلك أن هذه الخاصية تصبح هي الطاغية في علاقات المسلمين في جميع إطاراتهم التعاملية، حيث

يستطيع كل فرد فعل ما يريد تحت ضمان حماية «دستور النظام الديمقراطي»؛ إذ إن حرية الأفراد في ظل هذا النظام مكفولة بالقانون.

٤ ـ مناهج التعليم: العلمانية هي القاسم المشترك في معظم مناهج التعليم في العالم الإسلامي، ومادة التربية الإسلامية في تلك المناهج ـ إن وُجدت ـ هي مادة طارئة ومُسيّسة. إن كثيراً من مادة تلك المناهج هي تمجيد للنظام الحاكم، وتسبيح بفضائله وحسناته، إنها تمسخ الهوية الإسلامية من عقل الطالب وقلبه لدعم أفكار ومبادئ الفئة الحاكمة؛ سواء كانت حزباً أو طائفة أو عائلة أو ما سوىٰ ذلك؛ أي أنها تعمل لتدعيم المبادئ الأساسية التي قامت وتقوم عليها العولمة. لقد بلغت نسبة الأمية في العالم العربي حوالي ٦٥ ٪، وهو رقم كارثي في عصر اعتبرت فيه بعض الدول أن تعريف الأمية هي الجهل بالحاسوب وليس عدم القراءة أو الكتابة. إن المصيبة القادمة هي أن جميع برامج محو الأمية أساسها مناهج العولمة التي ذكرناها؛ أي أنه لا توجد أي خطط لمحو الأمية بالدين، إذاً ستبقىٰ الأمة بعيدة عن شُعب الإيمان، قريبة من خصال المعولمين من اليهود والنصارىٰ وأذنابهم.

٥ ـ الإعلام: إنه الغشاء الذي يدخل إلىٰ كل بيت مع الهواء وعبر الفضاء، ومع الكتب والصحف والمجلات، ومن خلال الفيديو والأقراص والشبكة العالمية (الإنترنت). لقد سيطرت الأنظمة الحاكمة العلمانية علىٰ هذا الإعلام، هذا في البلاد الإسلامية، وأما في غيرها فقد سيطرت مؤسسات العولمة بإشراف اليهود والنصارىٰ علىٰ جميع مكوناته، وراح هذا الموكب المكتظ بالسوء والسيئات يدلف إلىٰ عقول المسلمين وقلوبهم ليصنعهم علىٰ عينه، وعلىٰ وفق منهجه. إن حجم هذا الإعلام بات خارج إمكانية العد أو القياس، وقد أدىٰ ذلك، بشكل مضطرد ومتسارع، إلىٰ سحب المسلمين بعيداً بعيداً عن شُعب الإيمان وخصاله، ورميهم بين براثن شُعب الكفر ودروبه، وأما الذين لا يزالون

يتشبثون ببعض شُعب الإيمان؛ فمثلهم كمثل الملقىٰ في البحر ويتشبث بقطع من الخشب متناثرة علىٰ سطح الماء هنا وهناك!

٦ ـ **الأسرة**: لقد أحكم الإسلام بناء الأسرة إحكاماً قوياً ومتيناً؛ بوصفها اللبنة الرئيسة في بناء المجتمع، ولقد صبَّت كثير من شُعب الإيمان في صنع مادة هذه اللبنة لتضمن لها التماسك والبقاء؛ غير أن العوامل الخمسة السابقة التي ذكرناها قد وجَّهت سهامها القاتلة إلىٰ تلك اللبنة فأضعفت تماسكها، وأحياناً كثيرة تمكنت من تفتيتها. وإنك لتجد كثيراً من الأسر قد شرذمتها أفكار العولمة ونثرت أشلاءها يميناً وشمالاً، وإن أبرز ما ساعد علىٰ ذلك نزع المرأة لحجابها واتساع اختلاطها مع الرجال في جميع المرافق بلا استثناء؛ بما في ذلك المؤسسات العسكرية والأمنية، وعند تدقيقك في بيوت أسر المسلمين ستفتقد كثيراً من شُعب الإيمان، وستجد كثيراً من الشُّعب الأخرىٰ!

٧ ـ **انتشار الفساد والجريمة**: قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾ [**الروم**: ٤١]، إنه لمن المؤسف القول إن الفساد قد عم المستويات كافة، سواء علىٰ مستوىٰ الأنظمة الحاكمة أو علىٰ مستوىٰ الشعوب المسلمة المحكومة، بل إنه أصبح في حالات كثيرة من المسلَّمات! لقد أضحىٰ شراء الذمم، وفشو الرشوة، وأكل أموال الناس بالباطل، واستغلال المناصب، والاستغناء بالمال الحرام، وتعري النساء، والاختلاط الماجن، ونوادي الليل، والأفلام الخليعة، والاحتيال والاغتصاب، والزنىٰ، وأنواع الجرائم التي تغصّ بذكرها الصحافة في صباح كل يوم، ومحاربة الفضيلة، وإعلان الإرهاب علىٰ الدعاة والمصلحين، وبث الرعب في قلوب المتدينين.. وسوىٰ ذلك كثير، كل ذلك أضحىٰ مشاعاً ومعلناً ومعلوماً!

ولو قارنت أحوال المجتمع الإسلامي اليوم مع شُعب الإيمان التي ذكرناها لرأيت حالاً مهولاً ووضعاً مزرياً، ولا حول ولا قوة إلا بالله! لعلك أخي القارئ

تجد في هذا الكلام وصفاً للوحة سوداء ليس فيها بصيص نور!! كلا، ليس الأمر كذلك، ولكن الذي ذكرته هو مما لا يخفى، وإننا لن نستطيع إصلاح واقعنا ما لم تكن لدينا الجرأة على التشخيص الحقيقي لأمراضه وأوبائه. إن هذا الفساد ما هو إلا مظهر بارز من مظاهر تأثير العولمة.

٨ ـ **التخلف التنموي**: رغم أن العالم الإسلامي تتزاحم فيه الثروات وتتعاظم في جنباته الكنوز؛ غير أنه مصنف ضمن منظومة العالم الثالث؛ أي العالم المتخلف. ومن الواضح جداً أن انحطاط برامج التنمية أو عدم وجودها قد أوجد هوة واسعة جداً بين العالم الإسلامي والعالم الغربي الذي يقوده اليهود والنصارى. ومعنى ذلك أن العالم الإسلامي ـ بسبب شدة تخلفه التنموي ـ يعتمد اعتماداً كلياً على ما يأتيه من الغرب، وعلى ما يتصدق به عليه من التقنية (التكنولوجيا). ولقد أدى هذا التخلف إلى هجرة المفكرين والباحثين والمتخصصين والخبراء المسلمين إلى بلاد الغرب ليجدوا عنده ما يناسب طموحاتهم العلمية التخصصية، فأصبحت رياح العولمة تهب علينا من جهتهم إضافة إلى هبوبها من جهة الغرب أصلاً. ستبقى أبواب العالم الإسلامي مشرعة لرياح العولمة إلى أن يتمكن من ردم الفجوة بينه وبين أولئك، ولكن متى سيكون ذلك؟!

٩ ـ **اختلافات الإسلاميين**: قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [**الأنفال**: ٤٦]، لقد باتت اختلافات الإسلاميين موضع أزمة في العمل الإسلامي، اختلافات في مفهوم العقيدة، وفي تشخيص أمراض الواقع، وفي طريقة التعامل معه، وفي أساليب التعبير عن الإسلام.. وغير ذلك كثير، ثم أضحت هذه الخلافات موضع استنزاف لطاقاتهم ومحلاً لتنازعهم؛ مما جعل بأسهم بينهم، فاجتمع عليهم سوء علاقات بعضهم ببعض مع كيد السلطات المحلية والعالمية لهم. ومما زاد الحال تدهوراً عدم اتساع صدورهم للحوار

أو النقد. وهكذا تفعل الهزائم بالشعوب؛ فإنها تُذهب لبهم، وتشوّش على سلامة تفكيرهم، وتوردهم المزالق، وتدفعهم للمهالك، وهل الإسلاميون وجماعاتهم إلا جزء من هذه الشعوب؟! ولقد كانوا مظنة أن يبرزوا كأطباء يعالجون أمراض الهزائم، ولكن للأسف تسربت إلى أجسادهم الأمراض فباتوا بحاجة إلى من يداويهم!!

وبعد.. فتلك تسعة عوامل رئيسة تنخر في واقع المسلمين من داخلهم، وتسوقهم بقوة وثبات وعزيمة إلى الهوي في وديان العولمة، وإلى الغرق في بحار أمواجها المتلاطمة. ونلاحظ أن تلك العوامل قد شملت واقع المسلمين من زوايا العقائد والمقاصد والوسائل، وقد أوهنت تلك العوامل قوى العالم الإسلامي لمدافعة الهجمة الشرسة لأعداء الإسلام. إن الطابع العام للعالم الإسلامي اليوم هو الاصطباغ بالعولمة في هذه الأمور الثلاثة (قارن بين واقع العالم الإسلامي الآن وبين ما ذكرناه من واقع العقائد والمقاصد والوسائل لأعداء الإسلام الذين جابهوا رسلهم وخاصموهم، حيث ستجد مقاربة كبيرة!!).

ثانياً: واقع أعداء الإسلام على ضوء شُعب الكفر وموجات العولمة:

إذا استعرضنا واقع أعداء الإسلام على ضوء شُعب الكفر المائة التي ذكرناها؛ فإننا سنجد أنهم قد حازوها كلها بجدارة ـ في السوء والمكر ـ، وأضحت منطلقهم في مدافعة العالم الإسلامي. إن «العولمة» المعاصرة ما هي إلا «عنوان شامل» لتلك الخطط والبرامج. وقد آن أوان ذكر شيء من تفاصيل العمل المؤسسي اليهودي النصراني ضد المسلمين في هذا المضمار، وذلك ضمن مشروعهم للعولمة.

لقد وضع أعداء الإسلام عناوين رئيسة لحربهم على الإسلام؛ من مثل «خطر الأصولية الإسلامية» و «الحرب على الإرهاب» وضرورة «هزيمة تطرف

الإسلاميين» و «صراع الحضارات» وعناوين أخرىٰ، وجميعها تصب في بحيرة العولمة. ولا شك أن هؤلاء يرمون إلىٰ استغلال الظرف التاريخي الحالي لمصلحتهم؛ لكون أن كفتهم في ميزان التدافع مثقلة بضخامة خططهم وبرامجهم؛ في حين أن كفة المسلمين في ميزان التدافع خفيفة، بل طائشة!

سأذكر الآن أربعة مؤثرات لليهود والنصارى ضد الإسلام والمسلمين في هذا الخصوص، وذلك في إطار العولمة الاستراتيجية التي سبق التنويه عنها:

١ ـ التدافع ودور أوروبا الموحدة:

نوجزه في النقاط الآتية:

١ ـ تُعَدُّ أوروبا الموحدة أول تكتل صليبي موحد، يملك إمكانات سياسية واقتصادية وعسكرية واسعة. إن هذا التكتل يعطي النصارىٰ الأوروبيين وغير الأوربيين قوة معنوية كبيرة، تزودهم بالعاطفة الجياشة إزاء أي قرار يتعلق بالصراع مع العالم الإسلامي.

٢ ـ وبسبب وحدة المنطلق الصليبي؛ فإن ما يسمونه «الإرهاب» و «الأصولية الإسلامية» هي العدو الوريث للمعسكر الشرقي ـ علىٰ حد زعم رؤسائهم ـ الذي ستكون المنازلة معه هي سمة القرن الحالي.

٣ ـ في إطار تحديد «الأصولية الإسلامية» عدواً رئيساً؛ قامت وستقوم أوروبا الموحدة بتقديم الدعم المنوّع الأشكال لكل المؤسسات النصرانية العاملة في العالم، وخاصة العاملة في العالم الإسلامي، ولن يقتصر هذا الدعم علىٰ الجوانب الإعلامية والاجتماعية، بل سيتعداه إلىٰ الدعم العسكري كذلك؛ كما حصل في تيمور الشرقية وأفغانستان والعراق وغيرها.

٤ ـ يعتبر الموقف الغربي في قضية القتل الجماعي الذي قام به النصارىٰ الصرب في البوسنة والهرسك نموذجاً شاخصاً لحقيقة ما يمكن أن تقوم به أوروبا

الموحدة ضد المسلمين، وكذلك الموقف في كوسوفا والشيشان وتيمور الشرقية والفلبين؛ إذ إن أصناف المجازر البشرية التي مارسها النصارىٰ في البوسنة والهرسك وكوسوفا وفي تيمور الشرقية؛ قد تمت جميعاً تحت سمع وبصر الدول الأوروبية، والتي لم تحرك ساكناً سوىٰ بعض الإجراءات الشكلية التي لم تتجاوز ذرّ الرماد في العيون.

٥ ـ ستواصل «أوروبا الموحدة» تقديم كل أنواع الدعم لكل من يعيق إعادة قيام دولة أفغانستان الإسلامية علىٰ وفق ما كانت عليه أيام حكم طالبان، ويتضمن ذلك دعم القوىٰ النصرانية التبشيرية (النصرانية) التي تمارس الآن كثيراً من الأنشطة في صفوف الشعب الأفغاني المسلم!

٦ ـ في ظل أوروبا الموحدة لنا الحق أن نتساءل عن الضمانات التي تكفل للمسلمين في البلاد الأوروبية حرية ممارسة شعائرهم والتعبير عن انتمائهم الإسلامي، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر!

٧ ـ تقوم أوروبا الموحدة بدعم جميع الأنظمة في العالم الإسلامي التي ترفع شعارات العلمانية والقومية ضد العمل الإسلامي، والذي أخذ تفاعله مع الشعوب الإسلامية أبعاداً ما زالت تتوسع في اتجاه دفعه لأخذ زمام المبادرة.

٨ ـ من خلال قوة نفوذها السياسي والعسكري؛ فإن أوروبا الموحدة ستستمر في فرض إرادتها علىٰ الأنظمة في العالم الإسلامي لاتخاذ ما تراه مناسباً لمصالحها وداعماً لنفوذها.

٩ ـ ستبقىٰ أوروبا الموحدة واحدة من أقوىٰ وأبرز قوىٰ الدعم للجهود اليهودية في العالم عموماً، والكيان العبري علىٰ سبيل الخصوص.

٢ ـ التدافع ودور حلف الأطلسي:

عندما نتحدث عن حلف الأطلسي وعلاقته بالعالم الإسلامي؛ فإننا نستحضر في أذهاننا قروناً مديدة من الصراع بين المسلمين والصليبيين، ويمكننا

تلخيص موقف حلف الأطلسي من العالم الإسلامي في النقاط الآتية:

١ ـ إن حلف الأطلسي يشكّل تكتلاً نصرانياً ينوء ظهره بثارات الحروب الصليبية، ولا نشك في أن قادة الحلف يستحضرون في أذهانهم تلك الثارات ليترجموها في الخفاء إلىٰ خطط وبرامج توضع خلف أبواب مغلقة، ثم تُهيأ الظروف لتأخذ طريقها إلىٰ التنفيذ (فلسطين، كوسوفا، أفغانستان، العراق . .).

٢ ـ نظر حلف الأطلسي بعين القلق إلىٰ أحداث البوسنة والهرسك وكوسوفا؛ من حيث أن ذلك قد يؤدي إلىٰ إيجاد موطئ قدم إسلامي متقدم في القارة الأوروبية، ولذلك احتوىٰ تلك الأحداث بطريقته الخاصة، البوسنة والهرسك عن طريق «اتفاقية دايتون»، وكوسوفا عن طريق القوات الدولية، ولذلك فإننا نرىٰ أن حلف الأطلسي يشكِّل خطراً بالغاً علىٰ المسلمين في أوروبا.

٣ ـ في قضية الصراع بين أرمينيا النصرانية وأذربيجان الإسلامية؛ وقف حلف الأطلسي بقوة وراء أرمينيا، وقدَّم لها الدعم بأنواع شتىٰ؛ منها عن طريق الإيعاز لروسيا بمساندة أرمينيا، ومنها الحيلولة بين تركيا وبين تقديم دعم مؤثر لأذربيجان.

٤ ـ المصالح البترولية في البلاد الإسلامية تشكِّل شريان غذاء رئيس للصناعات الغربية، ولن يتوانىٰ حلف الأطلسي أو أمريكا وحلفاؤها من أعضاء الحلف عن القيام بعمليات عسكرية تدعم حصوله علىٰ البترول من البلاد الإسلامية، حتىٰ إن أدىٰ ذلك إلىٰ وجود مستمر لقواته في مناطق الآبار النفطية كما هو الحال الآن في العراق. وقد لا يتدخل حلف الأطلسي بشكل مباشر، بل يستظل بمظلة الأمم المتحدة؛ كما حصل في حرب الخليج.

٥ ـ الصراع الإسلامي اليهودي هو واحد من الصراعات الحاسمة في التاريخ، ويلتقي النصارىٰ واليهود في عدائهم للمسلمين، ومن ثَمَّ فإن حلف

الأطلسي يقف بجميع إمكاناته لدعم إسرائيل، ومن الزاوية الإسرائيلية فإن حلف الأطلسي يشكِّل عمقاً استراتيجياً لها.

٦ ـ إن حلف الأطلسي هو أيضاً العمق الاستراتيجي لبعض الأنظمة الحاكمة في البلاد الإسلامية، والتي يمكن أن تسقط تحت مطرقة ضغوط الإسلاميين الذين بدؤوا في بعض البلاد الإسلامية بأخذ زمام مبادرة قيادة الشعوب فيها (السودان)؛ مما يعني احتمال قيام دول إسلامية أصولية حسب تعبيرهم. إن هذه الدول ـ إن قامت ـ ستشكِّل خطراً ماحقاً على آمال الصليبيين في المنطقة الإسلامية في العالم.

٧ ـ أيضاً فإن حلف الأطلسي يُعَدُّ داعماً استراتيجياً مهماً للحركات التبشيرية النصرانية في البلاد الإسلامية، وذلك بتوفيره الغطاء المعنوي لهذه الحركات؛ مما يعطيها سهولة في التحرك وقدرة على تنفيذ برامجها.

٨ ـ سيولي حلف الأطلسي اهتمامات خاصة لكل من أوضاع السودان وإيران وسوريا وليبيا، وقد يوفر مسوّغات للتدخل العسكري في إحدى هذه الدول، على منوال ما حصل للعراق.

٩ ـ يعتبر حلف الأطلسي قيام دولة إسلامية في الشيشان نواة لقيام دولة إسلامية في القوقاز وما حولها، وفي الجمهوريات الإسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفييتي، ومن ثَمَّ فإن ذلك يشكِّل خطراً استراتيجياً بالنسبة له، ولهذا فهو يدعّم روسيا بقوة للقضاء على المجاهدين في الشيشان بأسرع وقت، ولكن إلى الآن لم تتمكن روسيا رغم دعم حلف الأطلسي لها من تحقيق تلك الغاية، ولن تستطيع بإذن الله تعالى.

٣ ـ التدافع واستراتيجية الهيمنة الأمريكية:

نريد هنا أن نذكر الخطوط العريضة لمواصفات استراتيجية الهيمنة الأمريكية

في تدافعها مع العالم الإسلامي، **وذلك ضمن النقاط الآتية**:

١ ـ وجه صليبي، وانبعاث أصولي نصراني صهيوني.

٢ ـ دعم مطلق وشامل للكيان اليهودي المغتصب لأرض فلسطين، وذلك على جميع المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والتربوية والاجتماعية وغيرها، وهي شريك قوي وفعلي في جميع الأعمال الوحشية والجرائم الهمجية التي يمارسها ذلك الكيان على مدار الأيام والسنين ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، كما أنها توفر له الدعم المعنوي والمادي على جميع الأصعدة الدولية، وخاصة الأمم المتحدة؛ بما في ذلك استعمال حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن لإجهاض أي قرار إدانة ضد ذلك الإجرام المذكور.

٣ ـ التدخل في الشؤون الداخلية لمختلف دول العالم؛ بما يجعلها تركع للقرار الأمريكي في تلك الشؤون.

٤ ـ رسم السياسات الخارجية لمختلف دول العالم؛ بما يحقق مصالح الولايات المتحدة.

إن الدول الكبرى تعاني من هذا الصلف الأمريكي؛ بما في ذلك روسيا والصين واليابان ودول الاتحاد الأوروبي، فما ظنك بالدول الأخرى مثل كوريا وإندونيسيا وتركيا وإيران وباقي دول العالم الإسلامي؟!

٥ ـ الهيمنة على المصادر الحيوية للطاقة.

٦ ـ توزيع القوات العسكرية الأمريكية البحرية والبرية والجوية على مختلف القواعد العسكرية والمحيطات والأجواء؛ لتكون تحت الجاهزية التامة لتحقيق الأهداف الأمريكية بالقوة المسلحة، تلك الأهداف التي من أهمها تطويق العالم الإسلامي ومصادرة قدراته ومقدّراته، والقضاء على الصحوة الإسلامية، وإعادة صبغته بالصبغة الأمريكية، ولا ينفك إعلامها عن ترديد: «تأمركوا وإلا أمركناكم بالقوة»!!

٧ ـ تقوم الولايات المتحدة بدعم الأنظمة الدكتاتورية في العالم ما دامت سائرة في الفلك الأمريكي؛ بغضِّ النظر عما تقوم به تلك الأنظمة من قمع لشعوبها، ومصادرة حرية الرأي فيها، وإهمال لخدماتها العلمية والعملية، وسرقة لثرواتها. فإذا ما خرجت تلك الأنظمة قيد أنملة عن ذلك الصلف الأمريكي انفتحت لها الحدقة الأمريكية الحمراء كي تعيدها إلى صوابها، وإلا اتهمتها بالدكتاتورية والتسلطية.. وهلمَّ جراً من الأوصاف المعروفة!!

٨ ـ لا تقبل الولايات المتحدة قيام أي نظام إسلامي حقيقي في أي منطقة من العالم، وضربت لمن يفكر في مثل ذلك مثلاً له في أفغانستان.

٩ ـ إذا أخفق أي نظام حكم في أي بلد إسلامي في تحقيق الغايات القصوى التي تطلبها الولايات المتحدة منه؛ فإنها لا تتردد في محاولة إسقاطه وإن كان علمانياً، والعراق مثال شاخص لذلك.

١٠ ـ تريد الولايات المتحدة الاستخفاء بالرداء الديمقراطي لتحقيق أهدافها؛ على الرغم من أنها قد انقلبت على الديمقراطية في بلادها، وصارت تمارس جميع أنواع التمييز العنصري والاجتماعي والثقافي والعرقي في داخل حدودها وخارجها.

١١ ـ ضربت الولايات المتحدة بحقوق الإنسان عرض الحائط، وأصبح انتهاكها لتلك الحقوق عرفاً دولياً، إلى درجة أنها خرجت من اللجنة الدولية لحقوق الإنسان، وأصرت على موقفها المعلن في دعمها لانتهاكات تلك الحقوق في فلسطين. وما قامت هي به بالفعل في أفغانستان، ومن قبل في فيتنام والصومال وغيرها من الدول.. خير دليل على ذلك.

١٢ ـ مشروع باول المسمَّى «مبادرة من أجل شراكة أمريكية شرق أوسطية في التنمية والديمقراطية» هو مشروع خطير، ذكرت تفاصيله في دراسة منفصلة.

١٣ ـ استراتيجية «القوة من أجل السلام» التي وضعها الجنرال هنري شلتون

بعنوان: التقييم الاستراتيجي في عام ١٩٩٨م، والقوة من أجل السلام ـ وقد أشرت إليها سابقاً ـ، **وعناصرها الرئيسة هي:**

أ ـ على الولايات المتحدة أن توجه كل جهدها العسكري خلال العشرين عاماً القادمة لمواجهة تهديدات من دول تمر بمرحلة انتقالية مثل الصين وروسيا، أو مناوئة مثل إيران وكوريا الشمالية.

ب ـ احتمالات انهيار دول مثل أفغانستان والبوسنة (فعلاً انهارت أفغانستان ولكن لمصلحة الولايات المتحدة).

ج ـ احتمال زوال التهديد الذي يمثله الإرهاب غير المرتبط بدول معينة (أحداث ١١ سبتمبر ألغت هذا الاحتمال).

د ـ أن يركز التخطيط المستقبلي على التهديدات المتباينة التي ستواجهها القوات الأمريكية في ظروف سيئة أو غابات كثيفة أو مناطق وعرة أو مدن مزدحمة، وهذه التهديدات لن تكون لها حدود واضحة.

هـ ـ أن الولايات المتحدة بميزانية دفاع تبلغ ٢٥٠ مليار دولار لا تستطيع أن تُعد نفسها لأسوأ السيناريوهات في كل محور، ومن ثَمَّ لا بد من زيادة الميزانية حتى تصل على الأقل إلى ٣٠٠ مليار دولار (تمت الموافقة على زيادتها إلى حوالي ٤٥٠ مليار دولار).

و ـ يجب أن تعتمد الولايات المتحدة على حلفائها في الناتو، وعلى إسرائيل واليابان؛ من أجل تخفيف الأعباء الجديدة؛ لأن الهدف أن تكون الولايات المتحدة في عام ٢٠١٨م قادرة على تشكيل قوة من كل الوحدات خلال يوم، وأنه كلما استطاعت الولايات المتحدة توظيف حلفائها قلَّت الأعمال التي يجب أن تتولاها بنفسها، وكذلك الأخطار.

١٤ ـ استراتيجية بوش المسماة بـ«الحرب الاستباقية»، وفحواها قيام الولايات المتحدة بشنّ الحرب على أية دولة تعتقد أن شنّ الحرب عليها يحقق الأهداف والأطماع الأمريكية. وتقوم الأجهزة الأمريكية بإعداد الذرائع وافتعال

المواقف لتسويغ شنِّ هذه الحرب، وكانت أفغانستان والعراق أولىٰ ضحايا هذا المخطط اليهودي الصليبي الإجرامي (سبق الإشارة إليها في فصل العولمة السابق).

٤ ـ التدافع ودور التكتل الجديد:

قلنا إن التكتل الجديد يضم كلاً من روسيا والصين وألمانيا وفرنسا، إن جميع هذه الدول لها رؤىٰ واحدة بخصوص عدم تمكين المسلمين من استعادة أمجادهم التاريخية، إن النزاع بين هذا التكتل وبين الولايات المتحدة هو نزاع علىٰ بسط النفوذ علىٰ العالم الإسلامي، ومن الناحية العقدية فهذه الدول تجمع بين النصرانية (روسيا، ألمانيا، فرنسا) والشيوعية (الصين)، وهما وإن كانا علىٰ كفي نقيض من هذه الوجهة؛ غير أنهما علىٰ رأي موحّد بشأن معاداة الإسلام. وعلىٰ هذا الأساس فإن هذا التكتل له مشاركته الفعالة في محاولة طمس الهوية الإسلامية من خلال ركوبه موجة العولمة، وذلك عن طريق الإعلام والاقتصاد والثقافة؛ غير أن إصرار الولايات المتحدة علىٰ الاستئثار بالهيمنة علىٰ العالم الإسلامي؛ سيجعل منه ساحة صراع مع هذا التكتل علىٰ مدىٰ السنوات القادمة، وهذا يعني أن العالم الإسلامي سيكون مثل الحوض الذي تصبّ فيه شلالات العولمة ذات الألوان المنوّعة، وسيزيد صاحب كل شلال من قوة تدفق شلاله ليحظىٰ بأكبر مساحة مائية تعبِّر عن لونه!!

التدافع بين عالمية الإسلام والعولمة المعاصرة إلى أين؟:

عندما نقول «عالمية الإسلام»؛ فإن ذلك يتضمن فيما يتضمنه انتشار الإسلام في العالم؛ غير أن هذا الانتشار منوط بما يقدمه المسلمون من جهد، وما يبذلونه من عطاء. صحيح أن واقع المسلمين علىٰ ضوء شُعب الإيمان في وضع متدهور كما أسلفنا، ولكن صحيح أيضاً أن حال المسلمين اليوم هو أفضل مما كان عليه قبل أربعين عاماً، لكنه أدنىٰ بكثير مما ينبغي أن يكون عليه ليخوضوا غمار التدافع بكفاءة، إن العمل الإسلامي اليوم فيه إيجابيات وفيه سلبيات.

فمن إيجابياته: النهضة العلمية بالعلوم الشرعية، والدراسات البحثية لواقع المسلمين، وإنشاء المراكز الدعوية والثقافية في مختلف بقاع العالم، وتأسيس اللجان الخيرية، والاهتمام بالجوانب الاقتصادية كانتشار الشركات والبنوك، وارتفاع رايات الجهاد في عدد من مناطق المسلمين التي سيطر عليها الكفار كالشيشان وكشمير والفلبين، وأخيراً أفغانستان والعراق، واندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية، والاهتمام بالجوانب الدعوية الإعلامية من نشر للكتب والصحف والمجلات الإسلامية، وكذلك الإذاعات والقنوات الفضائية وغير ذلك من مظاهر الصحوة. كل ذلك يتم رغماً عن المدافعة الشديدة لهذه الأعمال من قِبَل القوىٰ الداخلية والخارجية.

وأما السلبيات: فتتمثل بشكل أساس في تقاطع استراتيجيات العمل الإسلامي بين الجماعات الإسلامية، وعدم القدرة علىٰ تحديد طبيعة المرحلة وموقعها أو مواقعها من اللوحة الشاملة للسيرة النبوية، وإخفاقها في استيعاب قدرات أفراد وجماعات المسلمين لتوظيفها في الصراع مع أعداء الإسلام، وبعدم الإلمام بمخططات واستراتيجيات أولئك الأعداء.

ومن أبرز السلبيات أيضاً: أخذ معظم الجماعات الإسلامية بمناهج الغرب في إحداث التغيير الذي يرمون إليه، ومن أبرز تلك المناهج الديمقراطية، وهي من أقوىٰ أسلحة العولمة وأفتكها.

ومن السلبيات أيضاً: محاولة التصدي لأنظمة الحكم التي لا تحكم بما أنزل الله في البلاد الإسلامية باستعمال القوة المسلحة، وهو خطأ فادح ناجم عن تغليب العاطفة علىٰ مقاييس الموازنة بين المصالح والمفاسد، وينم عن الجهل بمقاصد الشرع من جهة، وفقه الواقع من جهة ثانية.

ومن السلبيات: ارتفاع رايات الطوائف البدعية باسم الإسلام، وتمكنها من جذب استعطاف كثير من المسلمين؛ لكونها ترفع شعارات تتبنىٰ مطالبهم وتدافع عن حقوقهم.

ومن السلبيات أيضاً: تميع مفهومات الولاء والبراء تميعاً شديداً؛ إلى درجة أن بعض المسلمين يؤيدون ويقفون صفاً واحداً مع اليهود والنصارى ضد إخوانهم المسلمين، وذلك انطلاقاً من مفهومات وطنية وإقليمية ضيقة، جاء الإسلام لاجتثاثها وبترها من جذورها.

وسلبيات أخرى يستطيع القارئ المتابع أن يتبينها ويضيفها إلى ما ذكرت.

فإذا ما لاحظنا الإيجابيات والسلبيات في الواقع الإسلامي حسبما ذكرنا، وضممنا إلى ذلك العوامل التي ذكرناها تحت عنوان «واقع المسلمين على ضوء شُعب الإيمان»؛ سيتبين لنا أن المرحلة الحالية فيها نوعان من التدافع، وكلاهما شديد، وكل منهما على مستويات العقائد والمقاصد والوسائل.

هذان التدافعان هما:

- تدافع في داخل الساحة الإسلامية.
- وتدافع مع أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمشركين في الخارج.

وإذا ابتعدنا عن العواطف لدى تقييمنا لهذا التدافع؛ فإننا نقول إن تغيير هذه الحال التي نحن عليها الآن يحتاج إلى عدة أمور؛ منها:

- إيجاد علماء على مستوى التدافع يشكِّلون مرجعية حقيقية تقود العمل الإسلامي.
- ومنها السير على منهاج أهل السنّة والجماعة علماً وعملاً.
- ومنها استجماع القوى الإسلامية وتوظيف طاقاتها بما يناسب مقتضيات المرحلة.

وهذه الأمور الثلاثة سهلة الكتابة عزيزة المنال!

وبناءً على ذلك؛ فإن محصلة التدافع في وقتنا المعاصر ستستمر في مصلحة أعداء الإسلام إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً؛ بحيث تتهيأ ظروف وعوامل

تساعد على إعادة كفة الميزان إلى وضعها الصحيح. إن الوصول إلى تلك الغاية يستوجب من العلماء العاملين، ومن الدعاة الصادقين، ومن طلبة العلم المثابرين؛ استفراغ جهودهم واستنهاض هممهم للسير بالدعوة عبر الطريق الشاق والوعر والطويل إلى أن يوافوا سنن النصر والتمكين.

إن الذي ذكرته من خصائص التدافع في العهد النبوي، بشقيه المكي والمدني، يعد كشاف إنارة لهذا الدرب ونبراس توجيه للسير في انحناءاته ومنعطفاته.

المشروع الإسلامي ضد العولمة في سياق التدافع:

يجب أن نعترف ابتداءً أنه لا يوجد مشروع إسلامي حضاري لمقابلة العولمة، لكن توجد محاولات متفرقة؛ هذه بعضها:

ـ إعداد دراسات ومقالات عن العولمة، وهي كثيرة؛ منها:

* دراسة قدمها الدكتور جاسم بن مهلهل الياسين، ونُشرت في صحيفة الأنباء الكويتية على حلقات: ابتداءً من ٢٠/ ١٢/ ١٩٩٨م.

ودراسات أخرى نشرها في صحيفة الوطن في ٢١/ ١١/ ١٩٩٨م؛ بعنوان «العولمة.. نوع من الغزو الجديد»، وهي دراسة قيّمة.

* دراسة لنجيب عبد الله الشامي، نائب رئيس جمعية التجاريين والاقتصاديين ـ أبوظبي ـ؛ بعنوان: «العولمة أهداف خفية وآثار سلبية».

* دراسة بقلم ذياب عبد الكريم؛ بعنوان «العولمة ومستقبل العالم الإسلامي».

* دراسة بعنوان «ضغط العولمة على مديونية الدول الفقيرة»، د. نجاح كاظم.

* دراسة بعنوان «العولمة الاقتصادية ما زالت بعيدة عن الاستقرار»، للدكتور

جلال نيجيري، الأستاذ بجامعة مرمرة ـ إسطنبول.

* دراسة بعنوان «العولمة.. ذراع جديدة لأخطبوط الغزو الفكري»، بقلم عبد الناصر محمد مغنم.

* بحث قدمه الشيخ يوسف جاسم الحجي رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت؛ للمؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ١٩٩٨م؛ تحت شعار «موقف الإسلام من العولمة في المجال الاقتصادي»، عنوان البحث «العولمة الحديثة تعتمد التقدم التكنولجي والسباق على امتلاكه».

* دراسة بقلم سامي عبد المحسن الرويشد؛ بعنوان: «العولمة أغنية العالم الجديدة».

ـ عقد مؤتمرات بخصوص «العولمة»:

* مؤتمر «موقف الإسلام من العولمة في المجال الاقتصادي» القاهرة ١٩٩٨م.

* مؤتمر «موقف الإسلام والقرن القادم» ١٩٩٨م.

* مؤتمر مديري العمليات والاستثمار في البنوك الإسلامية، والذي نظمه بنك دبي الإسلامي بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية، واستمر ثلاثة أيام؛ من ٣٠/ ١/ ١٩٩٩م إلى ١/ ٢/ ١٩٩٩م، حضره ٤٩ شخصية، مثَّلث ٣١ مصرفاً ومؤسسة مالية إسلامية من مختلف دول العالم.

* مؤتمر «التعريب والعولمة.. رؤية مستقبلية» القاهرة ١٩٩٩م.

ـ مؤسسات إسلامية تخترق العولمة:

* بنوك إسلامية وعددها كبير، وقد وافقت الحكومة السويسرية مؤخراً على افتتاح أول بنك عربي إسلامي في سويسرا؛ باعتباره بنكاً دولياً تجارياً خاصاً،

باسم «كنز بنك»، ورأس ماله ١٠٠ مليون فرنك سويسري (٨٠ مليون دولار) قابل للزيادة مستقبلاً إلى الضِّعف.

* مؤسسات إعلامية منوَّعة.

* مراكز إسلامية في مختلف دول العالم.

* مؤسسات دعوية متعددة.

وغيرها من المؤسسات، لكنها إما «فردية» وإما «رسمية»، وبشكل غير منسق أو متناسق على الأغلب، وهي من ثَمَّ لا تمثل «مشروعاً للعالمية الإسلامية».

اقتراحات قُدمت لمواجهة العولمة المعاصرة:

أعرض اقتراحين بهذا الصدد ـ سبق أن تم عرضهما ـ:

الأول: «تبني أوراق عمل قُدمت في الاجتماع الرابع والعشرين لمديري العمليات والاستثمار في البنوك الإسلامية»، وهي كالآتي:

الورقة الأولى: «تأثير العولمة على البنوك الإسلامية»، الدكتور بشير عمل فضل الله، البنك الإسلامي للتنمية.

الورقة الثانية: «العولمة وانعكاساتها على نشاطات المصارف الإسلامية»، الدكتور محمد حسن عبد المجيد ـ بنك البركة الإسلامي ـ البحرين.

الورقة الثالثة: «رؤية استراتيجية لعمل البنوك الإسلامية في ظل العولمة»، الدكتور عبد الفتاح محمد فرح ـ بنك دبي الإسلامي.

الورقة الرابعة: «ترويج صناديق الوقف النقدي في الأمة الإسلامية»، د. م أمنان. بنك الاستثمار الاجتماعي ـ بنجلادش.

الورقة الخامسة: «المتأخرات في البنوك الإسلامية»، للأستاذ إسماعيل إسماعيل خفاجي، بنك قطر الدولي الإسلامي.

إن الأوراق الأربعة الأولىٰ تتعلق بالعولمة بشكل مباشر، وحبذا لو عُقدت مؤتمرات تخصصية أخرىٰ في إطارات الإعلام والثقافة والفكر السياسي والتقدم العلمي وغيرها، وتطرح فيها أوراق تتعلق بقضية تدافع عالمية الإسلام في تلك المجالات مع العولمة المعاصرة.

الثاني: نشر في مجلة الاقتصاد الإسلامي ـ عدد أغسطس ١٩٩٨م رقم ٢٠٩ ـ بحث يرىٰ فيه الدكتور حسين شحاتة أستاذ المحاسبة بجامعة الأزهر: أن النظام الاقتصادي العالمي (العولمة الاقتصادية) كله شر يوجب المواجهة (لم يقرّه علىٰ ذلك بعض المفكرين العرب).

ويضع النقاط الآتية لـ«كيفية المواجهة» (باختصار):

١ ـ لا بد من العمل والإنتاج وتحسين الجودة.

٢ ـ التعاون والتكامل والتنسيق بين رجال الأعمال العرب والمسلمين.

٣ ـ يجب علىٰ المستهلك تفضيل المنتجات الوطنية علىٰ الأجنبية.

٤ ـ تحقيق التكامل والتنسيق بين الدول العربية والإسلامية كخطوة أساسية نحو إنشاء السوق العربية المشتركة.

٥ ـ الولاء والانتماء والحب للوطن العربي والأمة الإسلامية.

وقد عارضه الدكتور محمد عبد الحليم عمر أستاذ المحاسبة ومدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، حيث يقرر:

١ ـ لا نستطيع العيش بمعزل عن العالم.

٢ ـ التعامل مع نظام العولمة علىٰ أنه تطوير للعلاقات بين الدول.

٣ ـ يجب العمل علىٰ امتلاك أدوات وآليات العولمة وحسن استعمالها.

٤ ـ الإسراع باستكمال خطوات التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية، وتفعيل دور المؤسسات الإسلامية؛ مثل منظمة المؤتمر الإسلامي، والبنك الإسلامي للتنمية.

٥ ـ زيادة حركة التجارة البيئية والاستثمارات المشتركة بين الدول الإسلامية.

والذي يُلاحظ في هذين الاقتراحين أنهما اقتصرا على الجانب الاقتصادي في الأغلب، ولا يمثلان مواجهة شاملة مع تحديات العولمة.

اقتراح مشروع متكامل للعمل المؤسسي الإسلامي لمدافعة ومواجهة العولمة العصرية:

ها هنا أذكر اقتراحي الخاص بشأن ما ورد في العنوان أعلاه.

إن أي مشروع دعوي تغييري ينبغي أن ينطلق من أسس شرعية، وإن الأسس التي بنيت عليها المشروع المقترح هي ما يأتي:

١ ـ المرجعية: الكتاب والسنّة.

٢ ـ الإطار: العالمية؛ مع الاستفادة من الخصوصية وتوظيفها لخدمة العالمية، وبالعكس.

٣ ـ الموائمة: الاستفادة من الإفرازات الصالحة أو المحايدة (مثل الإنترنت وبنوك المعلومات ووسائل الاتصالات) في هذا العصر، والتواءم مع مقتضياتها.

٤ ـ المحتوى: شمولية احتياجات التغيير والمواجهة.

فهذا المشروع يجمع بين:

ـ الأصالة.

ـ والمعاصرة.

وينطلق من كون العمل الدعوي التغييري.

ـ توقيفياً من حيث الأصول.

ـ اجتهادياً من حيث الوسائل.

ـ شورياً من حيث اختيار الأمثل والأولىٰ.

ـ عالمياً من حيث مساحة الدعوة وامتدادها.

وقد جاءت الدراسة الخاصة بهذا المشروع في بابين:

ـ **الباب الأول**: القواعد التأسيسية للعمل المؤسسي الإسلامي (محلياً وعالمياً).

ـ **الباب الثاني**: المؤسسات هي مسالك التغيير الشمولي (محلياً وعالمياً).

وسوف تصدر هذه الدراسة في كتاب منفصل إن شاء الله تعالىٰ.

هذا وقد وضعت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية (إيسيسكو) عدداً من الاستراتيجيات لتطوير التربية في البلاد الإسلامية، يمكن أن نعتبرها لوناً من ألوان الرد علىٰ العولمة الثقافية.

وفي إطار إقرار تلك الاستراتيجيات عقدت المنظمة المؤتمرات الآتية:

١ ـ استراتيجية تطوير التربية في البلاد الإسلامية (اعتمدها المؤتمر العام الثالث للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة المنعقد في عمان عام ١٩٨٨م).

٢ ـ الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي (اعتمدها مؤتمر القمة الإسلامي السادس المنعقد في داكار عام ١٩٩١م).

٣ ـ استراتيجية تطوير العلوم والتكنولوجيا في البلدان الإسلامية (اعتمدها مؤتمر القمة الإسلامي الثامن المنعقد في طهران عام ١٩٧٧م).

٤ ـ استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب (اعتمدها مؤتمر القمة الإسلامي التاسع المنعقد في الدوحة عام ٢٠٠٠م).

٥ ـ استراتيجية الاستفادة من العقول المهاجرة في الغرب (اعتمدها المؤتمر الإسلامي التاسع والعشرون لوزراء الخارجية المنعقد في الخرطوم عام ٢٠٠٢م).

٦ ـ استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية (اعتمدها المؤتمر الإسلامي الثلاثون لوزراء الخارجية المنعقد في ماليزيا عام ٢٠٠٣م)[١].

التحصن الذاتي ضد العولمة:

هل من المستطاع إيجاد وسائل للتحصن الذاتي ضد العولمة؟! الجواب: نعم، إذا أُخذت الأمور بالجدية المناسبة، وأُعطيت حقها من القرار السياسي. ولعله من المؤسف أن نجد ضالتنا في ضرب المثال على ذلك من الكيان اليهودي، إن مثالنا يتعلق بنموذج التحصن اللغوي.

يقول الدكتور محمد عباس عبد الحق ـ الأستاذ بجامعة بيرزيت بفلسطين في (مؤتمر التعريب والعولمة رؤية مستقبلية) ـ الذي عقد في القاهرة ١٩٩٩م ـ: «إسرائيل المزعومة استطاعت تذويب ١٢٠ لغة وأكثر من ثلاثين قومية، وتم مزج هذا المجتمع المهلهل في كل المناشط، وفي الجيش والبوليس والبحث العلمي، وأحيوا لغة ميتة هي اللغة العبرية، وهي الآن لغة العلم في أحدث صوره.. نعم! هم لصوص ولكنهم يعملون.

إن هذه العبرية الميتة أصبحت الآن لغة الأبحاث الذرية في معهد وايزمان، ومن قبل أصبحت لغة التدريس في جامعات حيفا وتل أبيب والنقب وبار إيلات، وهذا لم ينشأ من فراغ، فقد سبقه تخطيط كامل، وعمل متواصل لعبرنة التعليم بالمدارس والجامعات الصهيونية؛ لبعث العبرية من خلال الرؤى الدينية العبرانية بين اليهود في أنحاء الأرض عبر شتاتهم وحاراتهم وأزقتهم، هذه الحركة النشيطة التي قادها الصهيوني «العزار بني يهودا» الذي وضع خطة من سبع

(١) العالم الإسلامي والعولمة، عبد العزيز التويجري، بحث نشر في كتاب «رسالة المسلم في حقبة العولمة»، ص ٣٢، حاشية رقم (١).

مراحل لإعادة استعمال العبرية، وتم تطبيقها بكل دقة . . فمتى نتعلم؟!» .

التدافع مع العولمة من خلال الكتب المنشورة :

لقد نُشرت كتب كثيرة في إطار التدافع مع العولمة، وهي كتب منوَّعة، بعضها يؤيد العولمة، وبعضها الآخر يعارضها، وبعضها يفصّل في ذلك. وأسرد تحت هذا العنوان أسماء مجموعة من الكتب لإثراء معلومات الباحثين والدارسين، وهي كالآتي :

عنوان الكتاب	اسم المؤلف
فخ العولمة	هانس بيتر مارتين وهارالد
العولمة	شومان مصطفى الطحان
نذر العولمة	عبد الحي زلوم
العولمة والطريق الثالث	سيد بيسن
اتفاقيات الجات وآثارها على دول الخليج العربي	محمد سليم
الآثار الاقتصادية لاتفاقية الجات	محمد علي إبراهيم
اتجاهات العولمة : إشكاليات الألفية الجديدة	السيد ولد اباه
الإنسان العالمي : العولمة والعالمية والنظام العالمي العادل	فضل أبو النصر
انعكاسات العولمة على الوطن العربي	أحمد مجدولاوي
تداعيات عاصفة الأبراج : عصر العولمة	ثامر كامل محمد
الثقافة والعولمة والنظام العالمي	كينج، أنطوني
الخروج من فخ العولمة	كمال الدين المرسي
الديمقراطية هي الحل لمخاطر العولمة	بطرس غالي
صراع الأمم بين العولمة والديمقراطية	أسعد السحمراي

عنـــوان الكتاب	اسم المـؤلف
العالمية والعولمة	السيد ياسين
العلمانية والعولمة والأزهر	كمال الدين عبد الغني مرسي
العولمة: وحدة وصراع النقيضين	سعاد خيري
العولمة اقتصادياً	يونس كامل ديب
العولمة بعيون دانماركية	سليم محمد غضبان
العولمة بين الأنصار والخصوم	رجب بودبوس
العولمة التجارية والإدارية والقانونية: رؤية إسلامية جديدة	كامل أبو صقر
العولمة: دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد	ممدوح محمود منصور
العولمة ـ رؤية إسلامية ـ	كامل أبو صقر
عولمة السيادة ـ حال الأمة العربية ـ	حسن البزاز
عولمة الفقر	تشوسو دوفيسكي، مشيل
عولمة الفقر	إسماعيل قيره
عولمة القهر	جلال أمين
العولمة ليست الخيار الوحيد	منير الحمش
العولمة.. مفهومها، مظاهرها	ماجد محمود شدود
العولمة الناقصة	يزيد صايغ
العولمة واقتصاديات البنوك	عبد المطلب عبد الحميد
العولمة والإقليمية	أسامة المجدوب

عنـــوان الكتاب	اسم المـؤلف
العولمة والديمقراطية	كمال مجيد
العولمة وقضايا الاقتصاد السياسي	بدري يونس
العولمة وقضايا اقتصادية معاصرة	عمر صقر
العولمة وآثارها في العالم الثالث : التحدي والاستجابة	علاء الدين ناطورية
العولمة وأثرها في المجتمع الإسلامي	عصام نور
العولمة والتنمية الاقتصادية	وداد أحمد
العولمة والدولة ـ الوطن والمجتمع العالمي	غسان منير حمزة سنو
العولمة والهوية الوطنية	غازي عبد الرحمن القصيبي
فرنسا ومسار العولمة	فيدرين، هوبير
العولمة والمجتمع المدني	شوقي جلال
إدارة العولمة	جورج لودج
انهيار العولمة	رضا عبد السلام
أيديولوجية العولمة	عبد الله عثمان عبد الله
بينات ترهقها العولمة	زكريا طاحون
حقيقة العولمة	أحمد العربي المشرقي
خيبات العولمة	ستعليتز جوزيف أ
الدول النامية والعولمة	محمد صفوت قابل
مخاطر العولمة على التنمية المستدامة	باقر محمد وردم

عنـــوان الكتاب	اسم المـؤلف
العلوم السياسية بين الأقلمة والعولمة	محمد محمد جاب الله عمارة
العولمة أفق وإرث يثير المخاوف	صالح السنوسي
العولمة الديناميكية الداخلية	كير كبرايد، ورد، كارين
العولمة: الضغوط الخارجية	كير كبرايد، بول
العولمة في إدارة المنظمات العالمية	صلاح عباس
عولمة الكراهية	أحمد طحان
العولمة المالية ومستقبل الأسواق العربية	شذا جمال خطيب، صعفق أكربي
العولمة من تحت: قوة التضامن	برشر، جيرمي / كوستيلو، تيم
عولمة النظام الاقتصادي العالمي	عادل المهدي
العولمة والإرهاب، حرب أمريكا على العالم	نعوم تشومسكي وآخرون
العولمة وتحولات العالم	محمد محفوظ
العولمة والمجتمع، التحديات الجديدة	محمد الموسوي
قضايا العولمة والمعلوماتية	مفيد الزيدي
القفز فوق العولمة	محمد رؤوف حامد
المرأة والعولمة	فيشتريش، كريستا
عالمية الإسلام ومادية العولمة	سميح عاطف الزين
ظاهرة العولمة، رؤية نقدية	بركات محمد مراد
العولمة والتربية	أحمد عبد الله العلي

النصر المبين للإسلام عاقبة تدافعه مع العولمة:

سنّة جارية، أمضاها الله ـ تعالىٰ ـ لينصر بها دينه ويعلي بها كلمته، تلك السنّة هي سنّة استبدال الأجيال، فأيما جيل يتوانىٰ عن القيام بواجبه في سنّة التدافع؛ فإن الله ـ تعالىٰ ـ يعاقبه بسبب توانيه، ثم يستبدل جيلاً غيرهم يقومون بالواجب ويؤدون المهمة، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التوبة: ٣٩]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ [محمد: ٣٨]، فالتولي وعدم النفير لا يستوقفان مضاء سنّة الله ـ تعالىٰ ـ في نصر دينه، بل يستوجبان تغيير هذه الأجيال التي وقع عليها الوصف، والإتيان بأجيال أخرىٰ مخالفة لجيل أو أجيال التولي والقعود، فتنهض بالأمر وتتحمل المسؤولية وترفع الراية وتغذ السير نحو موعود الله. وإنه من مدعاة الأسف حقاً أن أقول إن أجيالنا ـ منذ حوالي قرن ـ قد انطبق عليها وصف التولي وعدم النفير؛ إلا من رحم الله، وأقصد بهم الذين شرعوا ببدء عملية التغيير التي بدأت منذ حوالي ثلاثين عاماً، والتي ذكرنا إيجابياتها سابقاً، والذين قدحوا ومضات الجهاد المتوزعة هنا وهناك، وعزائم فلسطينيي الانتفاضة.

لقد مَنَّ الله ـ تعالىٰ ـ علىٰ هذه الأمة بأن بيَّن لها أن العاقبة في النصر النهائي ستكون من نصيبها وهو قدرها، وذلك لكيلا ييأس أهل العزائم وأصحاب الدعوة مما ينتظرهم في نهاية المطاف، وليعلموا أن عليهم أن يشقوا سبيلهم بالحكمة، ولا يستوحشوا من طبيعة الطريق ولا من طول امتداده، فإن النبي ﷺ قد بشَّرهم بقوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك» (هذا لفظ مسلم من رواية ثوبان)[1]. وإن الله ـ تعالىٰ ـ قد وعد أهل الإسلام بأن عاقبة التدافع ستكون لهم، قال

(١) صحيح مسلم، (٣/ ١٥٢٣)، رقم ١٩٢٠.

ـ عـز وجل ـ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢ – ٣٣]، وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله زوىٰ لي الأرض مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوىٰ لي منها»(١). وعن تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، يعز عزيزاً ويذل ذليلاً، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»(٢). وأخرج أحمد والدارمي وابن أبي شيبة والحاكم وغيرهم عن أبي قبيل قال: «كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسُئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب؛ إذ سُئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً. يعني قسطنطينية»(٣). و«رومية» هي روما عاصمة إيطالية، وفي الحديث بشرىٰ بفتحها. وروىٰ حذيفة مرفوعاً: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة علىٰ منهاج النبوة. ثم سكت»(٤).

ها نحن الآن في مرحلة المُلك الجبري الذي ساده من أمسكوا بزمام السلطة

(١) صحيح مسلم، (٤ / ٢٢١٥)، رقم ٢٨٨٩.
(٢) رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ٣.
(٣) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ٨.
(٤) رواه أحمد والبزار والطبراني والطيالسي، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ١.

بالقـوة والبطش والإرهاب، ونسـأل العلي القـدير أن يكون هذا الليل في آخـر ساعاته ليبزغ بعده فجر الخلافة على منهاج النبوة، فيتجدد للناس أمر دينهم.

إن العلماء العاملين والدعاة الصادقين في أي عصـر من العصور؛ باستطاعتهم أن يقودوا جموع المسلمين تحت راية التجديد إذا انتبهوا لأهمية النقاط الآتية؛ ليحسنوا من خلالها إدارة صراع التدافع مع أعداء الله تعالى:

١ ـ الحقائق الوصفية التي عليها حال المجتمع المسلم من حيث قربه أو بعده عن الامتثال للإسلام كما هو مفهوم عند أهل السنَّة والجماعة: وفي هذه النقطة يُؤخذ بعين الاعتبار تنوّع البيئات واختلاف الظروف التي تحكم كل بقعة إسلامية، ومن ثمَّ فإن الحقائق الوصفية تتناول الخطوط العريضة الإجمالية التي تشمل مجمل المجتمع المسلم، وكذلك الخطوط الدقيقة التفصيلية التي تخص كلَّ بقعة منفصلة.

٢ ـ إلحاق كل حقيقة وصفية بما يقابل نوعها من جهة التوصيف الشرعي:

فتنقسم عندها الحقائق الوصفية بحسب الكليات الخمس: إلى حقائق وصفية تتعلق بالدين، وأخرى بالنفس، وثالثة بالنسل، ورابعة بالمال، وخامسة بالعقل. ثم تقسم الحقائق الوصفية الملحقة بكل كلية إلى ما تندرج تحته من مستويات الضرورة أو الحاجة أو التحسين؛ مع مراعاة ما يمكن أن يحصل من تداخل في هذه المسألة، حيث يمكن أن تتعلق الحقيقة الوصفية الواحدة بأكثر من كلية، ويمكن أن تندرج في أكثر من مستوى.

٣ ـ ثم يُنظر في كل حقيقة وصفية بحسب موقعها في الكليات والمستويات: فيقال: ما سنَّة الله ـ تعالى ـ الجارية التي تندرج تلك الحقيقة الوصفية ضمنها؛ بمعنى ما النص الشرعي من كتاب أو سنّة الذي يُعمل به فيما يتعلق بتلك الحقيقة الوصفية؟

٤ ـ ثم يُنظر بعد ذلك، فيقال: ما سنّة الله ـ تعالىٰ ـ الجارية في كيفية تطبيق ذلك النص بشأن الحقيقة الوصفية التي ألحقناها به؟

مثال مبسط: الجهاد في سبيل الله:

١ ـ نأخذ للتطبيق العملي إحدىٰ البلاد الإسلامية، ولتكن (. . . .). إن الحقيقة الوصفية للجهاد في سبيل الله في تلك البلاد أنه معطل.

٢ ـ هذه الحقيقة الوصفية معلوم أنها ملحقة بكلية «حفظ الدين»، وذلك من حيث درء الخطر عنه من جهة العدم، ومن حيث نشره في العالم من جهة الوجود.

٣ ـ لقد جاءت النصوص الشرعية الكثيرة في الكتاب والسنّة بخصوص وجوب الجهاد في سبيل الله لنشر الدين ودرء الخطر عنه، فعُلم أن سنّة الله ـ تعالىٰ ـ جارية بأن إعزاز الدين لا يكون إلا بالجهاد في سبيل الله تعالىٰ.

٤ ـ فهذه البلاد التي فيها الجهاد معطل؛ ما سنّة الله ـ تعالىٰ ـ الجارية في إزالة تعطليه؟! فعندها يُنظر في سبب التعطيل، ثم يُنظر في سنّة الله ـ تعالىٰ ـ الجارية لإزالة سبب التعطيل.

إن الذين يقومون بهذه المهمة هم العلماء العاملون، وقد جرت سنّة الله ـ تعالىٰ ـ ألا يخلو منهم عصر، فبشرىٰ للمسلمين! إن المستقبل لهذا الدين، ولو بعد حين.